

السلام الحجاجية ودورها في تأكيد المقاصد في قصيدة لم أكن قبل موتي للشاعرة
عفاف فنوح

The role of argumentation schemes in confirming the intentions in Afaf Fennouh's poem: "I have never lived before I died".

ثليثة بليردوح

سارة حلحايت *

جامعة العربي بن مهيدي - أم البواقي-

جامعة العربي بن مهيدي - أم البواقي-

مخبر تعليمية اللغة العربية والنص

الأدبي في النظام التعليمي الجزائري

- الواقع و المأمول -

th03be@yahoo.fr

sarra.halheit@univ-oeb.dz

تاريخ القبول: 2023-12-21

تاريخ الإرسال: 2023-09-09

ملخص:

نروم من خلال هذا المقال تطبيق نظرية السلام الحجاجية لتبيان القوة التأثيرية والإقناعية وإبراز دور هذه السلام في تأكيد المعنى وتوضيح المقاصد في الخطاب الشعري الذي يعد تواصلًا بين المبدع والمتلقي وذلك من خلال التصور الذي قدمه ديكر (O. Ducrot) وزميله انسكومبر (J-C Anscombe) في نظريتهما التي تقرأ أن الحجاج متجذر في اللغة وله حضور مهم بوصفه يهتم بتوصيل رسالة من نوع خاص في الخطابات والنصوص على اختلاف أنواعها. الكلمات المفتاحية: حجاج؛ خطاب؛ قصد؛ معنى.

Abstract:

This article is a real attempt to apply the theory of argumentation schemes in view to prove the inductive and argumentative force, as well as illustrating the role of these schemes in approving the meaning and clarifying the intentions in the poetic discourse. The latter is regarded as a communication medium which links the innovator and the receiver as conceptualized by O Ducrot and J-C Anscombe in their theory which assumed that

argumentation is deep-rooted in the language since it is concerned with conveying a special message in various discourses and texts.

Keywords: argumentation, discourse, intention, meaning

مقدمة: يعد الحجاج من أقوى الأساليب للوصول إلى إقناع المتلقي، ويتبع المتكلم طرقاً استدلالية متنوعة ذات وظيفة تأثيرية حيث يعمل على استمالة المتلقي، وتوجيه سلوكه نحو الوجهة التي يرسمها. وقد أكدت النظريات والدراسات الحديثة أن الحجاج متجذر في اللغة مهما كان جنس الخطاب، وعلى هذا المفهوم تأسست نظرية الحجاج في اللغة التي قام بإرساء دعائمها كل من أرفالد ديكر (O. Ducrot) وجون كلود انسكومبر (J-C Anscombre) وهي نظرية وجهت اهتمامها صوب الحجاج داخل اللغة، مركزة على مجموعة من الوسائل اللغوية، ومن تلك الوسائل السلالم الحجاجية التي تقوم على ترتيب الحجج بشكل متسلسل بحسب القوة ويهدف تحقيق نتائج معينة. وعليه كيف ينبنى الحجاج اللغوي في الخطاب الشعري؟ وماهي تظاهرات الحجج التي قدمتها الشاعرة عفاف فنوح في خطاباتها الشعرية؟

1- السلالم الحجاجية:

11- السلم في اللغة:

جاء في معجم لسان العرب لابن منظور "والسُّلْمُ واحد السَّلَالِمِ التي يُرتقى عليها، وفي المُحَكِّم: السُّلْمُ الدرجة والمرقاة، يذكر ويؤنث ...قال الزجاج: سُمِّي السُّلْمُ سُلْمًا لأنه يُسَلَّمُكُ إلى حيث تريد.

السُّلْمُ: السبب إلى الشيء، وسُمي بهذا الاسم لأنه يؤدي إلى غيره كما يؤدي السُّلْمُ الذي يرتقى عليه".¹

جاء في المعجم الوسيط "السُّلْمُ): ما يصعد عليه إلى الأمكنة العالية. ما يتوصل به إلى شيء ما، (ج) سَلَالِمٌ وسَلَالِمٌ"²

¹ ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1998 م، ص: 2083.
² مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، جمهورية مصر العربية 4، 2008 م، ص: 446.

2.1 السلم الحجاجي في الاصطلاح :

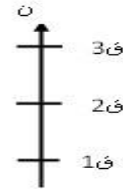
يقدم المتكلم في أثناء عملية التخاطب مجموعة من الحجج التي تؤدي الى نتيجة واحدة، حيث إن هذه الحجج تتفاوت في قيمتها الحجاجية من حيث قوتها الدلالية والتأثيرية في التوجيه الخطابي للقصد، الذي يروم المتكلم الوصول إليه¹ إن عدم تساوي هذه الحجج في طاقتها التي تؤهلها للوصول الى نتيجة، هو الذي أسس له أوزفالد ديكر في مؤلفه السلم الحجاجية (L'échelle argumentative) حيث عرفها بأنها: "علاقة ترتيبية للحجج"² فالمتكلم ينظم حججه خلال عملية التواصل وفق ترتيب تتحكم فيه معطيات متعددة؛ منها مقتضيات السياق والمقام، ومرتبة المرسل، وطبيعة المرسل إليه.

وبالإمكان أن نعرف السلم الحجاجي كما يلي: "هو مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية"³ مستوفية شرطين أساسيين أحدهما: أن كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته بحيث يلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال الأخرى، والآخر أن كل قول في السلم كان دليلا على مدلول معين، كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى.⁴ حيث تتأكد مقولة الرتبة والقوة.

يمكننا تجسيد السلم وفق الشكل التالي:

الشكل رقم 1:

ترتيب الأقوال في السلم الحجاجي



¹ ينظر: طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ط 1، 1426هـ، 2005م، ص276.

² أوزفالد ديكر، السلميات الحجاجية، ت: أبو بكر العزاوي، مطبعة وراقة بلال، فاس، المغرب، ط1، 2020م، ص:19

³ المرجع نفسه، ص: 277.

⁴ ينظر: مليكة غبار، أحمد مزبل، محمد رويض، علي أعمور، الحجاج في درس الفلسفة، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط2، 2006م، ص:54

ترمز (ن) إلى النتيجة المقصودة من الحجاج أما (ق1، ق2، ق3) فترمز إلى الأقوال الحجاجية المعتمدة في أثناء عملية التخاطب التي تفضي إلى النتيجة (ن).
إن السُّلم الحجاجي " لا يحمل قضيتين متعارضتين دفعة واحدة أو أكثر، وإنما يكتفي بأطروحة واحدة مؤيدة أو معارضة مثبتة أو مفندة وتنخرط القضايا الأخرى ضمن سلالم حجاجية أخرى منتظمة في مسار واحد، فتنشأ صياغة سلمية مقارنة مشتركة في نتيجة واحدة سابقة أو لاحقة بأقوالها الموجهة أو يؤدي عرض جملة من السلالم فاعلية في المستقبلين، عوض تقديم سلم واحد مؤيد أو معارض"¹، فالخطاب الحجاجي لا يعتمد على الصدق والكذب بل على قيم الإثبات والنفي لأن الخطاب الحجاجي غايته القوة والضعف أمام قضية معينة.

3.1 قوانين السلم الحجاجي:

فهم الخطاب الحجاجي وفاعليته في تقديم الحجج يتطلب وقفة على أهم قوانين السلم الحجاجي التي تحكمه:

أ- قانون النفي (Loi de negation):

يفيد هذا القانون عند الحجاجيين أنه لو كان القول دليلا على مدلول معين فإن نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله بمعنى إذا كان قول ما (ق) مستخدما من قبل المخاطب لخدم نتيجة معينة فإن نفيه أي (لا ق) سيكون حجة لنتيجة مضادة، ونقول أن لو كان (ق) ينتمي إلى الفئة الحجاجية (ن) فإن (لا ق) ينتمي إلى (لا ن) مثل:

- عمر مجتهد، لقد نجح في الاختبار.

- عمر ليس مجتهدا، لم ينجح في الاختبار.²

ب- قانون القلب (Loi d'inversion):

¹ عميش بن عمر، سيميولوجيا الاتصال في الخطاب الديني قصص الأنبياء نموذجا، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، كلية العلوم السياسية، قسم الإعلام والاتصال، 2010م ص 172

² ينظر: طه عبد الرحمان، اللسان والميزان، ص: 278

هذا القانون يرتبط بقانون النفي ويعد تكملة للقانون الأول ذلك أن "السلم الحجاجي للأقوال المنفية هو عكس سلم الأقوال الإثباتية"¹ فما كان أقوى في سلم الأقوال المثبتة يصبح الأضعف في سلم الأقوال المنفية والعكس صحيح. مثل:

- حصل عمر على الماجستير وحق الدكتوراه.
- لم يحصل عمر على الدكتوراه، بل لم يحصل على الماجستير.
- حصول عمر على الدكتوراه يقتضي حصوله على الماجستير أولاً وهو دليل قوي على مكانته العلمية وكان حصوله على الماجستير حجة ضعيفة، وهذا في سلم الأقوال الإثباتية، فإن العكس نجده في سلم الأقوال المنفية فإن عدم حصول عمر على الماجستير يثبت عدم نيته للدكتوراه وهو أقوى على عدم كفاءته العلمية.²

ج- قانون الخفض (Loi D'abaissement):

وهذا القانون يبين ويؤكد الفكرة التي ترى " أن النفي اللغوي الوصفي هو مساو للعبارة (Moine que) أي عند استعمالنا لعبارة مثل:

- الولد ليس مطيعاً لوالديه
 - لم يحضر كثير من الأقارب إلى الحفل.
 - فإن القولين سيتم تأويلهما كالآتي:
 - إذا لم يكن الولد مطيعاً فهو ولد عاق.
 - لم يحضر إلا قليل من الأقارب إلى الحفل.
 - كما نستبعد التأويلات التي ترى أن الولد مطيع، وأن كل الأقارب حضروا إلى الحفل.³
- 2- أضرب الحجاج:

إن الرؤية الحجاجية للقصيدة تقتضي وقفيتين اثنتين إحداها متعلقة بالحجاج المنطقي الاستدلالي والأخرى بالحجاج البلاغي واللغوي.

1.2- الحجاج المنطقي (الاستدلالي):

¹ أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، دار العمدة في الطبع، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 2006، ص: 20.

² طه عبد الرحمن اللسان والميزان، ص: 278.

³ ينظر: أوزفالد ديكر، السلمييات الحجاجية، ترجمة: أبو بكر العزاوي، ص: 23.

يجسده بناء النص في مختلف العتبات انطلاقا من العنوان فالمقدمة النصية فالعرض
فالخاتمة النصية،

القصيدة للشاعرة الجزائرية عفاف فنوح، عنوانها "لم أكن قبل موتي" من ديوان "بحري
يغرق أحيانا"، وهي من شعر التفعيلة، تتكون من ستة عشر سطرا شعريا، تمثل موقفا
عاطفيا عاشته الشاعرة.

1.1.2- مجمل القصيدة:

تتوجه الشاعرة من خلالها بخطاب إلى حبيبها الخائن، يتضمن لوما وعتابا، ويجسد
تحديا لانتفاضة المرأة المجروحة في مشاعرها.

2.1.2- نص القصيدة:

"على عود حزني عزفت الجراح
وقد كنت قبلي فؤادا ذبيحا
أنا لم أسألك كيف لماذا؟
أقلب هوى؟ أم عذاب أبيحا
أنا لم أكن قبل موتي، ولكن
منحتك نبضي فخنت المليحا
ترى هل ستنسى نجوما قطفت
وشمسا حبست ورعدا وريحا؟
ترى كيف ترسو غدا من جديد
وماذا ستحكي لهم؟ كن صريحا
وكن أنت من يبدأ الحكى إليه
وإيه، تذكر فراشا طريحا
ولا تخفِ سرا دفناه يوما
أيج هات من ثغرك الحُب شيحا
أفق يا رفيقا أضاع الطريق

ولما صبحا، صاح خنت جريحا"¹.

3.1.2- الرؤية الحجاجية لعنوان القصيدة:

العنوان يحمل وجهين دلاليين، فهي من جهة تحيل إلى ما كانت عليه، ومن جهة تحيل إلى ما آلت إليه، فكان ما عايشته من أحداث قاسية بمثابة موقف حجاجي تبين من خلاله الأسباب والخلفيات التي جعلتها تتخذ موقفا خاصا من خائنها فيكون بذلك هدف العنوان ليس وصف وضعها في الماضي بقدر ما هو وسيلة حجاجية لإقناع المتلقي بموقفها.

4.1.2- الرؤية الحجاجية للمقدمة النصية:

تشكل الخيال في المقدمة النصية بصورتين اثنتين الأولى هي التشبيه البليغ والأخرى هي الاستعارة المكنية، فتشبيه الحزن بالعود على سبيل الإضافة يجعل المشبه والمشبه به صورة واحدة تتلاشى فيها الحدود بين ما هو مادي وهو آلة العود، وما هو معنوي وهو الحزن في قول الشاعرة:

"على عود حزني عزفت الجراح"²

لتعدل بعدها مباشرة إلى خيال آخر هو الاستعارة المكنية، حيث أحالت العزف للعازف (الخائن) الذي استبدل الألحان بالجراح فعد لحن العود جراحا، لتلتفت الشاعرة إلى المخاطب مذكرة إياه بألم الجرم الذي كان ذات يوم ضحيته فاختارت من التعبيرات قولها "وكننت قبلي فؤادا ذبيحا" حيث شبهت خائنها ذات يوم "بالفؤاد الذبيح" والتعبير هنا على سبيل تشخيص المعنى في هذه الصورة التشبيهية.

5.1.2- الرؤية الحجاجية لعرض النص:

بدأ العرض بمجموعة من التساؤلات لعل اللافت فيها هو نفي الاستفهام وهو نفي إنكاري، في قولها "أنا لم أسألك كيف لماذا؟" لتستأنف خطابها الإنكاري قائلة: "أقلب هوى؟ أم عذاب أبيحا"، فتحضر ثنائية ضدية، الأولى متعلقة بهوى القلب غيرها، والأخرى باستباحة تعذيبها وبأسلوب لطيف تلتفت الشاعرة إلى عنوان النص لتستحضره في هذا الموضوع قائلة: "أنا لم أكن قبل موتي ولكن" مخاطبة خائنها بذكريات عطائها. حيث ربطت بين العطاء والجزاء الذي لم يكن من جنسه.

¹ عفاف فنوح، بحري يغرق أحيانا.. شعر، دار الحكمة، دط، 2011م، ص:33

² المرجع نفسه، ص:33

"منحتك نبضي فخنث المليحا

ترى هل ستنسى نجومنا قطفت

وشمسا حبست ورعدا وريحا؟"¹

كانت الشاعرة في سماء الخائن نجومنا وشمسا ورعدا وريحا بكل ما تحمله هذه العلامات من دلالات إيجابية، لم تلق إلا الجحود والنكران لأنه خان (فقطف وحبس).

لتعود مرة أخرى مستفهمة في قولها:

"ترى كيف ترسو غدا من جديد

وماذا ستحي لهم؟ كن صريحا"²

والسطر الأول كسابقه من الاستفهامات الإنكارية التي تنشد من خلالها أن يكون واضحا وصريحا في حكايته موجة خطابا أمريا ببدء الحكاية "وكن أنت من يبدأ الحكى"

6.1.2- الرؤية الحجاجية للخاتمة النصية:

رست الشاعرة في نهاية إبحارها على شاطئ الذكرى، فأمرت ونهت قائلة:

"وايه، تذكر فراشا طريحا

ولا تخف سرا دفناه يوما

أبح هات من ثغرك الحب شيحا

أفق يا رفيقا أضاع الطريق"³

حيث طلبت من خائنها أن يتذكر أثر أذاه وأن يصرح بما دفن من سر الخيانة، وأن يبح بمرارة الحب، لتوجه في نهاية الأوامر دعوة للاستفاقة لتدارك الضياع، فتأتي الاستجابة بعد الصحو على الخيانة "ولما صبحا، صاح خنت جريحا" في تشاكل بين "على عود حزني عزفت الجراح"

ومما تقدم ندرك أن بنية النص على هذه الشاكلة تجسد سلما هاما من السلالم الحجاجية في منطقية عرض الأفكار وترتيبها وتسلسلها وفق ما ارتضته الشاعرة.

¹ عفاف فنوح، بحري يغرق أحيانا، ص: 33

² المرجع نفسه، ص: 33

³ المرجع نفسه، ص: 33

وهذا يقودنا إلى الحديث عن الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية، فالحجاج خطاب لسانی تداولي، يعتمد الحجة المنطقية لإقناع الآخرين والتأثير فيهم بما يعرض عليهم من أطروحات فهو تفاعل بين طرفي الخطاب، لا يكتفي فيها المرسل بالإخبار بل يقصد توجيه المحاجج وجهة معينة في موقف محدد وعليه ركزت التداولية على علاقات الاتساق والأدوات اللسانية المحققة له، فكانت "الروابط والعوامل الحجاجية هي المؤشر الأساسي والبارز، وهي الدليل القاطع على أن الحجاج مؤثر له في بنية اللغة نفسها"¹ فالروابط والعوامل الحجاجية أدوات تقوم بـ"الربط بين قضيتين وترتيب درجتها بوصف هذه القضايا حججا في الخطاب"² وتقوم بتوجيه الحجاج نحو نتيجة معينة. التساؤل الذي يتبادر الى الأذهان في هذا السياق حول الفرق بين الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية ووظيفة كل منهما في الخطاب الحجاجي؟ تختلف العوامل الحجاجية عن الروابط الحجاجية "وأما الروابط الحجاجية فهي تربط بين المتغيرات الحجاجية (أي بين الحجة والنتيجة أو بين مجموعة من الحجج)، أما العوامل الحجاجية فتقوم بتقييد الإمكانيات الحجاجية بالقول وحصرها"³ هذا مجمل ما جاء في التمييز بين هذين الصنفين من المؤشرات والأدوات الحجاجية، ولزيد من التوضيح ولتبين الفرق بين العامل والرابط الحجاجيين بشكل أوضح وجب علينا التطرق الى مفهوم كل منهما.

2.2- الحجاج اللغوي:

1.2.2- الرؤية الحجاجية للروابط اللغوية (Connecteurs Argumentatifs):

يستخدم المتكلم الروابط الحجاجية للربط بين معطياته فهي لا تترجم العلاقات الحجاجية فقط، بل هي اختيارات في الترتيب والتعليق حتى لا تنفصل عن مقاصد الخطاب. فالخطاب الحجاجي يقوم على نظام لغوي يزاوج بين قوة الاستدلال وحسن الربط بين الأقوال من خلال توظيف مجموعة من الروابط المناسبة التي تتفاعل داخل نسيج النص لتبرز الوظيفة الحجاجية، وللروابط الحجاجية وظيفتان:

¹ الحسن بن قاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، تج: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1413هـ، ص: 615

² أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص: 58

³ ينظر: المرجع نفسه، ص: 27

- الربط بين وحدتين دلالتين.
 - خدمة الدور الحجاجي للوحدات الدالة التي تربط بينها.
- نلاحظ أنَّ الشاعرة اعتمدت على مجموعة روابط حجاجية صريحة هي (الواو)، (الفاء) و (أم) و (لكن)، ... المتأمل في القصيدة يلمس وجود روابط حجاجية ضمنية تفهم من سياق الكلام ربما الشاعرة جعلتها ضمنية بقصد بلاغي وأيضا لأن طبيعة نظم شعر التفعيلة يجعلها تقوم بحذفها.
- ومن أبرز الروابط وأكثرها انتشارا في القصيدة الروابط التالية:
- 1.1.2.2- روابط العطف الحجاجي:

➤ الرابط الحجاجي (الواو)

تعد الواو أم باب العطف وأصلها، لأنها تدل دلالة عامة على الجمع والاشتراك، على حين أن غيرها يدل على اشتراك محدد بمعنى كالترتيب والشك...¹ وتقوم بوظيفة حجاجية تكمن في تحقيق التواصل المعنوي بربط الحجج بعضها ببعض؛ لتقوية الحجج ووضعها بشكل نسقي أفقي² إذ تعد الواو أكثر الأدوات حضورا وفاعلية في إيجاد التواصل والتألف داخل بنية النص ضمن تدرجية أو سلمية تفرضها ظروف معجمية ودلالية وتركيبية باتجاه الحجة الأقوى لدعم النتيجة المطروحة.

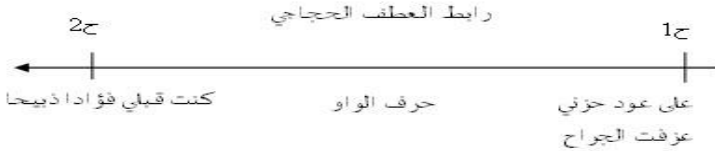
- وظفت الشاعرة في هذه القصيدة حرف العطف الحجاجي "الواو" حيث استخدمته في الربط بين الحجج لتخلق تماسكا نصيا وتجعل المتلقي يدعن للفكرة فهي تخلق علاقة تعددية أي ربط بين الحجج وهذا مقصود طبعاً؛ لأن الشاعرة تعمدت في سياق قصيدتها الى ذكر الحجة في بادئ الكلام ثم التأكيد عليها من خلال تفرع هذه الحجة الى حجج جزئية حتى تتضح الصورة للمتلقى أي تقسيم الكل إلى أجزائه المكونة له، وإن ما يضيفي على "الواو" قيمة تعبيرية هو حريته المطلقة في الجمع بين الأفكار وإشراكها في صياغة المعاني.

¹ينظر: ابن هشام جمال الدين الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تج: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط 5، 1979 م، ج 2، ص: 354

²ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهيري، استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية) دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، ط 1، 2004م، ص: 472

2- الشكل رقم:

رابط العطف الحجاجي (الواو) ووظيفته في الربط بين الأقوال الحجاجية



الشكل رقم: 03

الربط المتعدد بين الحجج بواسطة رابط العطف الحجاجي (الواو)



➤ الرابط الحجاجي (الفاء)

تعد (الفاء) من حروف العطف التي تفيد في ترتيب الحجج وربط النتائج بالمقدمات "و يقوم هذا الرابط بضمان الانتقال بين السبب والنتيجة، و حصر المعنى وتحديد الفكرة، وهذا ما يساعد في إقامة علاقات حجاجية بين الحجج والنتائج المبنية أساسا على التتابع ويسهم هذا الرابط الحجاجي في بناء وتشكيل النص وانسجامة، ونجد أن المحاجج يحرص على ربط الأحداث والأفكار برابط سببيا فيتولد عن ذلك استدلال مباشر للنتيجة مما يجعل الفعل الحجاجي عند المتلقي مقنعا وهذا يسهم في توجيه سلوكه¹ "كما أن أهم خاصية يمتاز بها هذا الرابط الحجاجي هي خاصية الترتيب الزمني"²، ولذلك عدت)

¹ ينظر: حازم الأطرش، التراكيب التعليلية في القرآن الكريم (دراسة حجاجية)، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب جامعة المستنصرية، 2014م، ص: 119

² ينظر: عبد الله صولة، الحجاج، أطره و منطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج -الخطابة الجديدة- لبييرلمان وتيتيكا، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، فريق البحث في البلاغة و الحجاج، إشراف حمادي صمود، كلية الآداب، منوبة، (دب) ص: 332-333.

الفاء) من الروابط المدعمة للحجج المتساوقة نظرا للدور الذي تؤديه في الجمع بين الحجج، وتقوية بعضها ببعض لتحقيق النتيجة المرجوة.

ومن أمثلة توظيف هذا الرابط في القصيدة:

"منحتك نبضي فخنت المليحا"¹

نلاحظ أن الفاء قد ربطت بين الحجة والنتيجة، فالحجة قبل (الفاء) قد فسرت وعللت النتيجة التي سبقت الرابط فنجد (الخيانة) جاءت بعد حجة (منح النبض) فعملت (الفاء) على الترتيب والمسارة في (الخيانة) من دون مهلة؛ فكان ما قبل (الفاء) علة وسببا لما بعدها(النتيجة)، حيث تختزل الفاء في هذا التعقيب المسافة بين محبة الشاعرة ووفائها وخيانة الحبيب.

ويمكن تجسيد ما سبق ب الشكل الموالي:

الشكل رقم 04:

دور الرابط الحجائي (الفاء) في الربط بين القول الحجائي والنتيجة



2.1.2.2- روابط التعارض الحجائي:

➤ الرابط الحجائي (لكن)

(لكن) أداة تفيد الاستدراك والتوكيد، تربط بين قولين متغايرين نفياً أو إيجاباً ومعنى الاستدراك أن تنسب حكماً لا سيما يخالف المحكوم عليه قبلها...وهي لا تقع إلا بين متنافيين² لتوليد معنى جديد متعلق بالمتقدم الذي يسير في اتجاه معين وتتحد دلالاته بواسطة (لكن) التي ترد لرفع التوهم عن كلام سابق ارتبط معه لكنه خالفه في الحكم

¹ عفاف فنوح، بحري يغرق أحياناً، ص: 33

² ينظر: أحمد بن عبد النور المالقي، رصف المباني في شرح حروف المعاني، تج: أحمد محمد الخراط، مطبعة زيد ثابت، دمشق، 1975م، ص: 278-279

السلام الحجاجية ودورها في تأكيد المقاصد في قصيدة لم أكن قبل موتي للشاعرة عفاف فنوح

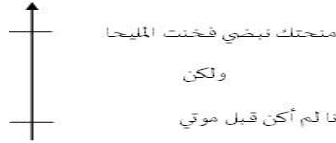
فغير مسار المعنى ووسع دائرته فهو من الناحية الحجاجية ربط حجاجي تداولي بين متقدم (معطى) ومتأخر (نتيجة).

قدمت الشاعرة عبارتين (أنا لم أكن قبل موتي) و(منحتك نبضي فخنت المليحا) بوصفهما حجتين، الحجة الأولى موجهة نحو نتيجة معينة من قبيل أنها تحيل إلى ما كانت عليه من فرح وسعادة ونرمز لها ب (ن)، والحجة الثانية موجهة نحو النتيجة المضادة أي ما آلت إليه من حزن وخيبة أمل، نرمز لها ب(لا-ن) فنجدتها قدمت الحجة الثانية بوصفها الحجة الأقوى التي توجه القول والخطاب برمته، فالأداة (لكن) التي استخدمت هنا هي (لكن الحجاجية)، ونلاحظ أن هناك تعارض حجاجي بين ما يتقدم الرابط (لكن) وما يتلوه.

بما أن الحجة الثانية أقوى من الحجة الأولى فإنها ستوجه القول بمجمله نحو النتيجة (لا-ن)¹

الشكل رقم: 05

رابط التعارض الحجاجي (لكن) ودوره في توجيه الأقوال الحجاجية



➤ الرابط الحجاجي (أم)

تأتي (أم) على وجهين²:

الوجه الأول: أن تكون حرف عطف، وتسمى المتصلة، ولا بد في هذه الحال من أن تسبقها إحدى همزتين:

- همزة استفهام: ويكون الجواب بالتعيين.
- همزة تسوية: وتقع (أم) في هذه الحال بين جملتين نحو (سواء علي أغضبت أم رضيت) تؤولان بمفردين، أي (غضبك ورضاك سواء)

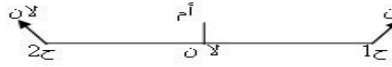
¹ أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص: 59

² ينظر: يوسف الصيداوي، الكفاف يعيد صوغ قواعد اللغة العربية دار الفكر، دمشق، سوريا، دط، 1999م، ج1، ص: 407.

الوجه الثاني: أن تكون حرف استئناف بمعنى (بل) ويلزمها معنى الإضراب وتسمى اصطلاحاً (المنقطعة أو المنفصلة) وجاء في شرح الرضي "وأما في المنقطعة فلا يثبت أحد الأمرين عند المتكلم، بل، ما قبل (أم) وما بعدها على كلامين، لأنه اضراب عن الكلام الأول وشروع في استفهام مستأنف فهي إذن بمعنى (بل) ¹ ويتجلى هذا الرابط داخل القصيدة على الوجه الثاني (حرف استئناف بمعنى بل)، في قولها: (أقلب هوى؟ أم عذاب أبيح)، وهي هنا أفادت الاضراب والاستفهام الإنكاري معاً، ليتحقق الإضراب عن المعنى الأول بالمعنى الثاني الذي يناقض الحب ويبيح العذاب.

الشكل رقم: 06

توجيه الأقوال الحجاجية بواسطة رابط التعارض الحجاجي (أم) بمعنى (بل)



2.2.2- العوامل الحجاجية:

الخطاب الشعري كغيره من الخطابات الأخرى يتوسل بطبعه بوسائل وقرائن حجاجية لبلوغ الاقناع، فالعوامل الحجاجية كما عرفها ديكر و ترجمها محمد طروس بأنها "صرفه تحول الاحتمالات الحجاجية للمضمون المطبقة عليه، وتمد العبارات المتغيرة بإمكانية استعمالها لغايات حجاجية"،² فعندما يدخل العامل الحجاجي على عبارة ما، لا يغير من القيمة الإعلامية أو الإخبارية للقول ولكن الذي يتأثر بهذا التعديل هو القيمة الحجاجية للقول أي الاحتمالات أو الإمكانيات التي يتيحها.

ومن العوامل الحجاجية في قصيدة (لم أكن قبل موتي) نذكر:

1.2.2.2- عاملية أدوات النفي:

¹ محمد بن حسن الإستراباذي السمنائي النجفي الرضي، شرح الرضي لكافية الحجاب، تح: يحي بشير مصيري، جامعة الإمام محمد بن سعود، ط1، 1996م، ج1، ص1337.

² محمد طروس، النظرية الحجاجية، من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية و اللسانية، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 2005م، ص: 112.

يعد النفي من الصيغ التعبيرية التي لها دور حجاجي في طرح القضايا، "فيحقق به الباحث وظيفة اللغة الحجاجية المتمثلة في إذعان المتقبل وتسليمه عبر توجيهه إلى النتيجة (ن) ولقد حصرت العربية في لغتها حروف متمحضة للنفي من قبيل (لا، لن، لم، ما) يصدق عليه قول انسكومبر يوجد في اللغة صرافم (عوامل حجاجية)، تشد الملفوظ وتبدل/توجه أقسام النتائج المرتبطة بالجملة في الملفوظ في بدايته "1 أي انه رد على إثبات فعلي محتمل حصوله من قبل الغير.

فالنفي عامل يحول القضية الصحيحة إلى قضية خاطئة والخاطئة إلى صحيحة كما هو معروف في عرف المناطقة، وغير بعيد عن هذا الطرح أسس ديكرز نظرية السلام الحجاجية معتبرا إياها أدق العوامل في تحديد منزلة الملفوظ من السلم الحجاجي، فعاملية النفي لا يمكن إدراكها إلا بإدراك النتيجة فبمجرد إدماج عامل النفي تتحدد النتيجة.

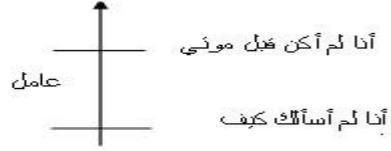
قدمت الشاعرة (عفاف فنوح) حججها المنفية ب(لم) التي خلصت المضارع من الماضي، ففي الحجة الأولى (أنا لم أسألك كيف لماذا؟) جاء النفي بصيغة استفهام لتوجيه المتلقي إلى نتيجة ضمنية وهي عدم اهتمامها باللوم والعتاب جراء الصدمة التي تلقتها، أما الحجة الثانية (أنا لم أكن قبل موتي ولكن..) فجاءت لتحيل إلى ما كانت عليه من سعادة وفرح قبل حادثة الخيانة، ومن ثم جاء رابط التعارض الحجاجي (لكن) الذي وجه القول بمجمله نحو النتيجة العكسية؛ أي إلى ما آلت إليه الشاعرة من حزن وخيبة فهاته الحجج المنفية جاءت ردا واعتراضا لمعتقدات المخاطب، فباستخدامها عامل النفي الحجاجي (لم) الذي أكسب الملفوظ قوة تأثيرية وطاقه حجاجية أسهمت في توجيه المتلقي نحو التسليم بالنتيجة وكسب تعاطفه.

ويمكن تمثيل تراتبية الحجج المنفية وفق السلم التالي:

الشكل رقم: 07

تراتبية الحجج المنفية وفق السلم الحجاجي

¹ عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين، صفاقس، تونس، ط 1، 2011 م، ص



3.2- القوة الحجاجية للاستعارة ومرتبتيها في السلم الحجاجي:

تعد الاستعارة وسيلة كلامية مهمة يتخذها المتكلم للتعبير عن قصده بالتلميح (الفعل الكلامي غير المباشر) بدلا من التصريح (الفعل الكلامي المباشر)، وتقوم الاستعارة على خاصية أساسية وهي "النقل"؛ ويحدث هذا بنقل العبارة اللغوية من معناها الوضعي إلى معنى سياقي (مجازي) يمثل مراد المتكلم من الملفوظ الاستعاري¹

يتمتع القول الاستعاري بقوة حجاجية عالية، حيث تجسد الاستعارة دورا إقناعيا في معظم وظائفها التي جاءت من أجلها، فعملية التخييل التي تكتنفها الاستعارة تنجز ما لم تنجزه لغة الحقيقة فمن خلال التخييل يمارس الشاعر سطوته اللغوية ويحتال في اثبات المعنى وإقناع المتلقي بما يراه هو لا بما يقتنع به.

ويرى ديكر أن للاستعارة خصائص وجودية تجعلنا نحس بدورها أكثر، وتدفعنا دفعا إلى التفكير؛ لأنها تخلق لنا علاقات متعددة بين أشياء ليست بينها في الظاهر تلك العلاقات؛ وذلك لكونها ذات خصائص لغوية وجمالية، فضلا عن بنيتها المرنة التي تجعلها تأخذ في كل مرة دورا وشكلا جديدين، بحسب النوع أو الجنس والسياق لهذا كانت اللون البلاغي الأقدم من غيره على التعبير عن الطبيعة الاحتمالية للمعنى والدلالة من جهة وعن الواقع كما يراه المبدعون والنقاد من جهة ثانية².

إن الأقوال الاستعارية بفضل تجسيدها المعنوي في صورة مادية محسوسة تسهل على العقل الإدراك، وتعد أبلغ الآليات البلاغية الحجاجية وأقواها على الإطلاق حيث إنها تحتل المرتبة الأولى في درجات السلم الحجاجي.

¹ ينظر: خديجة بصول، الأبعاد التداولية للاستعارة في كتاب المثل السائر لابن الأثير، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة باتنة 1 الحاج لخضر الجزائر، المجلد 16، العدد: 1، 2023، ص: 135

² ينظر محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، ط1 2008، م، ص: 166، 167

وإذا عدنا لقصيدة شاعرتنا عفاف فنوح(لم أكن قبل موتي) نجد هذه الأخيرة قد ركزت على ظاهرة الخيانة وهي ظاهرة اجتماعية سلبية موجودة في كل المجتمعات الإنسانية ، و جعلتها محورا تتمركز حوله منظومة قيم منافية له، حيث لعبت على وتر حساس منتهجة ما يسمى التأثير بالعواطف، وكذلك خدمة الجانب العقلي من خلال العملية الحجاجية، فركزت بشكل مباشر على إبراز القيم المشتركة بين الفئات التي تخاطبها من أجل كسب ردود أفعال مطلوبة بالاستناد إلى حجبتها المتعارف عليها، فنجدها تمكنت من اقناع المتلقي ببشاعة هذه الظاهرة واستنكارها من خلال استعمالها الاستعارات كحجج قوية. حيث قالت:

"على عود حزني عزفت الجراح

ولا تخف سرا دفناه يوما"¹

ففي المثال الأول نجد الشاعرة قد وظفت استعارة مكنية وهي قولها (عزفت الجراح) حيث حذف المشبه به (الموسيقى) وتركت شيئا من لوازمها وهو(العزف)، وكما ذكر الجرجاني أن الاستعارة المكنية لا تقوم على مجرد التشبيه بل على بث الحياة في المشبه بغرض المبالغة، وإذا تفحصنا قول الشاعرة (عزفت الجراح) نجد أنها انطلقت من مأساة مرة، صورت لنا من خلالها تذوقها لألوان العذاب والجراح من خلال تشبيه مادي وهو العزف على العود، أما في المثال الثاني في قولها: (ولا تخف سرا دفناه يوما)، نجد أنها حذف المشبه به(الميت) وتركت قرينة دالة عليه وهي (الدفن) فقد شبهت السرو وهو شيء معنوي بشيء مادي وهو(الميت) على سبيل الاستعارة المكنية والجامع بين المشبه والمشبّه به حاجتهما للاختفاء والتواري، من خلال تشبيه الشاعرة للسربالميت يستدعي طرفين تربطهما حتمية الموت والدفن و (عملية الدفن) تستوجب حضور الطرفين، وملازمتهما لبعضهما وهذا تبيان ذلك:

الشكل رقم:08

الاستعارة المكنية وتمثيل و طرفي التشبيه فيها

¹ عفاف فنوح، بحري يغرق أحيانا، ص:33



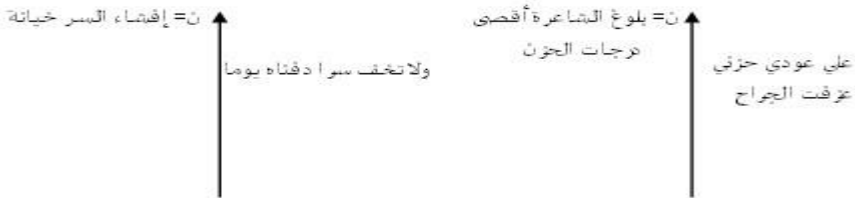
قصدت الشاعرة أن يذهب ذهن المتلقي إلى تأويل المسكوت عنه وهو فضاغة هذا الجرم، خاصة أن أسوأ ما في الخيانة أنها لا تأتي من عدو، وجاء هذا التركيب الاستعاري الحجاجي الذي يؤثر في النفس ويشد الانتباه في أحسن صورة، ولتحقيق فعالية أكبر من خلال هذا الأسلوب الحجاجي، "فالاستعارة يمكن أن تلفت النظر إلى تشبيهات قد لا تكون ملحوظة غالبا"¹

إن قوة الحجاج في المفردات المستعملة في الاستعارة أقوى من استخدامها في المعنى الحقيقي ولعل هذا ما جعل القوة الحجاجية للاستعارة ترتبط ارتباطا شديدا بالسلم الحجاجي الذي يعد من المفاهيم الأساسية في النظرية الحجاجية. يقول الأستاذ أبو بكر العزاوي في هذا الشأن أن المتكلم يقدم القول الاستعاري على أنه دليل أقوى لصالح النتيجة المتوخاة، وهذه الخاصية هي التي تجعله فوق الإبطال فعلى عكس الأقوال العادية يمكن أن ترد في سياقات الإبطال، فلا يمكننا تصور ورود دليل مضاد بعد القول الاستعاري.²

يمكن تمثيل حجاجية هذه الاستعارات ب الشكل التالي:

الشكل رقم: 09

مرتبة القول الاستعاري في السلم الحجاجي



¹ أبو بكر العزاوي، الحجاج والشعر: نحو تحليل حجاجي لنص شعري، مجلة دراسات صادرة عن سال، المغرب، العدد 7، 1992م.

² ينظر أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص: 106

يكن تأثير الاستعارة في طريقة الإثبات التي كان بها المعنى وهو هنا التخيل والتصوير، وكأن الشاعرة تتلطف وتحتال وتتلاعب في تأدية المعنى، فلم تكن المزية في أصل المعنى وإنما في الطريقة التي تثبت بها المعنى.

خاتمة:

تبين لنا من خلال هذه الدراسة مدى مساهمة السلام الحجاجية ودورها في تأكيد المقاصد في الخطاب الشعري الذي يمتاز بنوع من الخصوصية في لغته، حيث أن للسلام الحجاجية دوراً أساسياً في تشكيل الخطاب الحجاجي وتقديم المعاني بشكل تسلسلي، فهي تسعى إلى التأثير وإقناع المتلقي وهذا عن طريق التنظيم الذي تسير وفقه. وقد خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها:

- تهدف شاعرنا عند ترتيب حججها بشكل متسلسل إلى تحقيق نتائج معينة ومقصودة؛ من خلال تقديم مجموعة من الحجج التي تؤثر في المتلقي وتصل به إلى التسليم والإذعان، وتوجيهه نحو قبول تلك النتائج.
- يتحقق الانسجام في سير الحجج وربطها بالنتيجة المطلوبة عبر مسار تصاعدي يرسمه السلم الحجاجي.
- يتشكل السلم الحجاجي بقيام علاقة ترابطية بين الحجج المنتمية إلى الفئة الحجاجية نفسها، فتدرج الحجج في السلم الحجاجي يستلزم نتيجة واحدة تنتهي إلى فئة حجاجية معينة، وبمعنى آخر يكون السلم ضمن موضوع واحد.
- القصيدة مبنية على حجج ترتبها الشاعرة على شكل سلم حجاجي تتفاوت فيه الحجج بحسب قوتها من الأضعف إلى الأقوى؛ قاصدة بذلك توجيه المتلقي للاعتراف بالنتيجة، وبالتالي تحقيق التأثير فيه وإقناعه، وما ورد في شأن هذه السلام مرتبط بالحجاج المنطقي الاستدلالي واللغوي والحجاج البياني البلاغي.
- السلم الحجاجي من الآليات الحجاجية اللغوية التي يمكن تطبيقها على نص شعري؛ كونه نصاً يحمل طابعاً حجاجياً.

قائمة المصادر والمراجع:

1. ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1998 م.
2. ابن هشام جمال الدين الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط 5، 1979 م، ج 2.
3. أبو بكر العزاوي، الحجاج والشعر: نحو تحليل حجاجي لنص شعري، مجلة دراسات الصادرة عن سال، المغرب، العدد7.
4. أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، دار العمدة، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 1426هـ، 2006 م.
5. أحمد بن عبد النور المالقي، رصف المباني في شرح حروف المعاني، تح: أحمد محمد الخراط، مطبعة زيد ثابت، دمشق، 1975م.
6. أوزفالد ديكر، السلميات الحجاجية، ت: أبو بكر العزاوي، مطبعة وراقة بلال، فاس، المغرب، ط1، 2020م.
7. حازم الأطرش، التراكيب التعليلية في القرآن الكريم (دراسة حجاجية)، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب جامعة المستنصرية، 2014م.
8. الحسن بن قاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، تح: د فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1413هـ.
9. خديجة بصول، الأبعاد التداولية للاستعارة في كتاب المثل السائر لابن الأثير، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة باتنة 1 الحاج لخضر الجزائر، المجلد 1، العدد:1، 2023.
10. طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ط 1، 1426هـ، 2005م.
11. عبد الله صولة، الحجاج، أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج -الخطابة الجديدة- لبيلمان وتيتيكا، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف حمادي صمود، كلية الآداب، منوبة، (د.ت).

12. عبد الهادي بن ظافر الشهيري، استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية) دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، ط1، 2004م.
13. عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين، صفاقس، تونس، ط1، 2011م.
14. عفاف فنوح، بحري يغرق أحيانا..شعر، دار الحكمة، دط، 2011م.
15. عميش بن عمر، سيميولوجيا الاتصال في الخطاب الديني قصص الأنبياء نموذجاً، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، كلية العلوم السياسية، قسم الإعلام والاتصال، 2010م.
16. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، جمهورية مصر العربية، ط4، 2008م.
17. محمد بن حسن الإستراباذي السمنائي النجفي الرضي، شرح الرضي لكافية الحاجب، تح: يحي بشير مصيري، جامعة الإمام محمد بن سعود، ط1، 1996م، ج1.
18. محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، ط1، 2008م.
19. محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية و اللسانية، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 2005م.
20. مليكة غبار، أحمد مزيل، محمد رويض، علي أعمور، الحجاج في درس الفلسفة، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، دط، 2006م.
21. يوسف الصيدواوي، الكفاف يعيد صوغ قواعد اللغة العربية دار الفكر، دمشق، سوريا، دط، 1999م، ج1.

